أسباب ستر المرأة وسفورها فی شعر العصر الجاهلی

سیدحیدر الشیرازی*

الملخص

إنّ لِستر المرأة العربیة وحجابها وعفافها أهمیة بالغة اکترث بها الثقافة الجاهلیة وتناولها الشعراء وصفاً ومدحاً وفخراً لأنفسهم. وکان لهذا التستّر والعفاف دلالات فطریة ولفظیة ذکرناها فی هذه الوجیزة. ولکن المرأة فی العصر الجاهلی کما کانت متسترة، کانت سافرة ولسفورها دواعٍ مختلفة نشأ معظمها متأثراً بالأفکار والتقالید الجاهلیة فدراسة أسباب السفور موضوعٌ آخر نوقش فی هذا المقال من خلال الأدب الشعری فی هذا العصر وکان من أهم تلک الأسباب: الحزن والمصیبة والخوف من السبی فی الحروب وإبراز الحسن والمحبة وداعیة الفقر والمسکنة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

الکلمات الدلیلیة: المرأة، الستر، العفاف، السفور.

*. أستاذ مساعد بجامعة الخلیج الفارسی بوشهر (استادیار دانشگاه خلیج فارس بوشهر).

تاریخ الوصول: ۱۳۸۸/۲/۱۹هـ. ش تاریخ القبول: ۱۳۸۸/۵/۲۲هـ. ش

المقدمة

إنّ بإلقاء نظرة عابرة وسريعة على ما دوّنت فی الكتب الأدبية نجد الدراسات الشعرية فی ستر المرأة متكاثرة كما فی سفورها وذلک بفارق وهو أنّها متناثرة فی معظمها وغير منتظمة ومبوّبة، اللّهم إلا فيما وجدنا لبعض الدارسين كالحوفی فی كتابه «المرأة فی الشعر الجاهلی» حيث أفرد فيه فصلاً للمرأة السافرة والمحتجبة أو ما رأينا فی مؤلّفات أخرى نوقش فيها زیّ المرأة ولباسها وحليُّها. وما إلى ذلک فی البحوث المنطرحة فی فن الرثاء. والذی دعانا إلى الخوض فی مثل هذا البحث هو عدم وجدان ضالّتنا المنشودة فی تلک المباحث. فارتأينا أن نقوم بدراسة متعمّقة أكثر فاهتدينا إلى هذه الأسباب المتواجدة لدينا الآن.

مما يلفت النظر أنّه لم تكن النساء العربيّات كلّهن سوافر كما لم تكن كلّهن محجّبات والأهمّ من ذلک إن السفور كان من عوامله الأجواء الثقافيّة الخاصة أو الظروف الإقتصادية الصعبة أو الفتن والحروب المفروضة المذلّلة للمرأة، هذه هی التی قمنا بدراستها فی الأدب الشعری وتركنا دراستها النفسيّة لأهلها.

إنّ المتتبّع لأخبار ما يتعلّق بسفور المرأة أو سترها قد يجد أن الأخبار الواردة فی تستّر المرأة العربية موفورة كوفرة أخبار سفورها، لكن السفور خلافاً للفطرة السليمة العفيفة التی أودع بها وجبل عليها الإنسان، كان لها من دواعٍ مختلفة نشأ معظمها متأثراً بالآداب والتقاليد البالية الجاهلية. ولما بعث النبی (ص) جاء بثقافة إسلامية متوقّية ومتحذّرة بكثير من تلكم الفتن التی كانت تثار من قبل المرأة بسفورها وتبرّجها.

المرأة الجاهلية وأسباب سفورها

١. الجزع عند الحزن والمصيبة

كانت المرأة الجاهلية تختلف عند المناحة عن غيرها فكانت حتى المحجبات منها تسفر لأن المصيبة المفجعة والنياحة المؤلمة تنحرف بالمرأة عن استمرارها بالحفاظ على التستر والاختباء فهی كأنها ينفد اصطبارها فتفقد توازنها وطمئنتها لعواطفها الجياشة

وأحاسیسها الغلابة فعندئذٍ رغماً علی غیرة العرب کان یسمح لها شیء من السفور رعایة لأنوثتها وتفتّت أعصابها وحالتها المشجیة، کما کان یجوز لها الخمش واللطم جزعاً منها علی فقیدها وهذا ما کان یعتبر لدیهم نوع من الحداد. یدل علی ذلک کثیر مما أنشده الشعراء فی وصف سفورها لدی المصائب، وذلک عندهم من علامات الحزن الشدید حیث تذهل المرأة المصابة فتفقد سیطرتها علی نفسها فتنسی کرامتها وصونها. وفیه قول المهلهل فی رثاء کلیب إنهم کانوا یغارون علی نسائهم أن یبرزن من خدورهنّ، فلما قتل کلیب خرجن حواسر عواطل من حلیهن:

کنا نغار علی العواتق أن تُری ... بالأمس خارجة عن الأوطان
فخرجن حین ثوی کلیب حُسّراً ... مستیقنات بعده بهوان
فتری الکواعب کالظباء عواطلا ... إذ حان مصرعه من الأکفان
یخمشن من أدم الوجوه حواسراً ... من بعده ویعدن بالأزمان

(ابن الأثیر، ۱۹۶۶م، ج۱: ۵۳۰)

وفی موضع آخر یضیف کشف الذراع إلی جانب الوجه للحرة عند البکاء والجزع من دون أن یأخذها باللوم قائلاً:

وإذا تشاء رأیت وجهاً واضحاً ... وذراع باکیة علیها برنُس
تبکی علیک ولستُ بلائم حُرة ... تأسی علیک بعبرة وتنفّس

(الحوفی، ۱۹۸۰م: ۳۷۳)

وکان من عادة الجاهلیین عند البکاء علی المیت شقّ الجیوب وکان یقال للتی تشق جیبها «الشاقة» (الشوری، ۱۹۸۳م: ۱۶۰). وحتی أن الرجل منهم کان من دأبه أن یوصی بذلک. وهذه عقلیة جاهلیة کان یؤمن بها أصحابها کطرفة الشاعر فهو یعتبر اللطم وشق الجیوب للفقید احتراماً وإکراماً له فلذلک یوصی أهله بشق الجیب خاصة أنّه یعتبر نفسه مستحقاً للندبة والجزع إذ أن له رفعة لیست لغیره وهو ینفع ما لا ینفع سواه وقد شهد معارک لم یشهدها مثیله. یقول طرفة بن عبد فی وصیة له لابنة أخیه:

فإن متّ فانعَینی بما أنا أهله ... وشقّی علیّ الجیبَ یا ابنةَ معبَدِ

ولا تجعلینی کامرئٍ لیسَ همّه　　کهمّی ولا یغنی غنائی ومشهدی

(الحسینی الکاشانی، ۱۴۰۰ق ،ج۱: ۲۶۹؛ البستانی، لاتا، ج۱: ۶۶)

هذا وقد یتغیرتستر المرأة فی مثل هذه الظروف المؤلمة الحزینة فهی بدلاً من لبس الملابس ذات الألوان الزاهیة، قد تقتصر علی ملابس الحزن. کما کان یتوقع صخر من أختها خنساء ذلک أی تمزیق الخمار ولبس الحداد ـ وهو الصدار[1] ـ فیما یتحدث عنها قبل موته: (نجیب عطوی،۱۹۹۳م: ۶۲)

واللهِ لا أمنحُها شِرارَها　　ولو هلکتُ مزَّقَت خِمارَها

وجعلت من شَعَرٍ صِدارَها

یستشف لنا باستعراض هذه الأشعار وما سنوافیه بکم فیما بعد بأن المرأة الجاهلیة کانت ملتزمة التزاماً کاملاً أو نسبیاً بنوع من الستر لا یمکن إنکاره. فالحالة العامّة لدیهم أن المرأة کانت محجبة إلا فی مثل هذه الظروف الصعبة المکرهة المفضیة بها إلی البروز من الخدور والکشف عن الستر والقناع والنقاب، وفی مثله قول الشاعر یخاطب حبیبته فی شعره مشیراً فیه إلی بروزها عن الخباء والکشف عن نقابها لما اعتراها من الحزن المؤلم عند الفراق قائلاً:

ولما تبدّت للرحیل جمالنا　　وجدّ بنا سیر وفاضت مدامع

تبدّت لنا مذعورة من خبائها　　وناظرها باللؤلؤ الرطب دامع

أشارت بأطراف البنان وودّعت　　وأومت بعینیها متی أنت راجع

فقلت لها والله ما من مسافر یسیر　　ویدری ما به الله صانع

فشالت نقاب الحسن من فوق وجهها　　فسالت من الطرف الکحیل مدامع

(الأبشیهی، ۱۹۸۶م، ج۲: ۸۸)

ولبید له أبیات من الشعر یلمح فیها إلی تخدّر المرأة وتسترها، لکنها عند المصیبة وذرف الدموع الغزیرة تفقد صوابها وتخرج من خدرها وتقوم بلطم الوجه والعویل

۱. الصدار بکسر الصاد: ثوب رأسه کالمقنعة، وأسفله یغشی الصدر والمنکبین تلبسه المرأة، وکانت المرأة الثکلی إذا فقدت حمیمها فأحدت علیه لبست صداراً من صوف.

فیقول:

فلم أرَ یوماً کان أکثَر باکیاً وحسناء قامت عن طِرافٍ مُجوّرِ
تبلّ خموش الوجه کلُّ کریمةٍ عَوانٍ وبِکرٍ تحتَ قَرٍّ مَخدَّرِ[1]

(البستانی، لاتا، ج۱: ۱۱۸)

وقد صرح الربیع بن زیاد العبسی فی شعره بعد مقتل مالک بن زهیر بأن المرأة الجاهلیة الحرة متحجبة من غیر وقت العزاء والمصیبة وأنها بعد أن أخرت البکاء لأخذ الثأر تخرج حاسرة لإقامة العزاء وفیه قال الشاعر:

من کان مسرورًا بمقتل مالک فلیأت نسوتنا بوجه نهـار
یجد النسـاء حواسرًا یندبنه یلطمن أوجههن بالأسحـار
قد کن یخبأن الوجـوه تسترًا فالیوم حیـن برزن للنظـار
یضربن حُرّ وجوهنّ علی فتیً عفّ الشمائل طیب الأخبار

(الإصفهانی، لاتا، ج۱۷: ۱۸۱)

وقال مهلهل یرثی کلیباً ملمّحاً بالبروز من الخدور بعد الفاجعة:

علی أن لیس عدلا من کلیب إذا برزت مخبّأة الخدور

(السید المرتضی، ۱۹۰۷ م، ج۲: ۱۳۲؛ الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۸)

ومثله قول لیلی بن طریف فی رثاء أخیها الولید:

بکت تغلبُ الغلباء یوم وفاته وأُبرِزَ منها کلُّ ذات نصیف

(الحوفی، ۱۹۸۰م : ۶۶۸)

واستمر هذا العرف عند البعض بعد ظهور الإسلام قال أبو ذؤیب الهذلی فی توقعه ما تفعل بنته بعد موته من ضرب صدورهن حواساً بالنعال:

وقام بناتی بالنعال حواساً وألصقن وقعَ السِّبتِ[2] تحت القلائد

(الحوفی، ۱۹۸۰م : ۳۰۸)

۱. الطِراف: الخیمة من أدَم. مَجوَّر: مقوَّض، ساقط. تبلّ: أی تبل خدوش الوجه بالدم. العوان: المرأة فی منتصف عمرها. القَرّ: الهودج.المخدّر: المستّر بالثیابة.
۲. السِّبت: النعال المدبوغة بالقرظ.

ولما جاء الإسلام رفض الكثير مما كان يعترف به فی العهد الجاهلی من السفور وخمش الوجوه وشق الجيوب وما إلى ذلک. ورد النهی عنه فی الأحاديث الشريفة، ففی صحيح مسلم روی عن الرسول(ص) أنه: «ليس منا من صلق أو حلق أو خرق» (المتقی الهندی، لاتا، ج۱۵: ۶۱۰) أی: ليس منا من رفع صوته أو حلق شعره أو شق جيبه عند الموت. وعن أماتة أن رسول الله (ص): «لعن الخامشة وجهها والشاقّة جيبها والداعية بالويل والثبور». (نوری، لاتا، ج۲: ۴۶۷)

فلذلک قد تغيرت العقيدة الجاهلية إلى الإسلامية متأثراً بدين الله وهذا أبو فراس الحمدانی يوصی ابنته قبيل وفاته سنة ۳۵۷ه أن لا تنوح وتبكی إلا من وراء الستر والحجاب فهو يقول:

أَ بُنيّتی لا تجزعی كل الأنام إلى ذهاب
نوحی علیّ بحسرة من خلف سترک والحجاب

(ابن قيس، ۱۹۹۷م، ج۱: ۱۱۳)

۲. إبداء الحسن والزينة

إن المرأة الجاهلية لم تكن ملتزمة بالستر والحجاب وكان لها الحرية فی إبداء الزينة ومشاركتها الرجل فی كثير من أعماله فی رعی الغنم ونضح الماء وفی البيع والابتياع وارتياد الأسواق والحج إلى بيت الله الحرام. قد ذكر الأصمعی: «أن المرأة كانت تلقی خمارها لحسنها وهی علی عفة.» (الحوفی، ۱۹۸۰م:۳۷۰) فمن أجل ذلک نزل قوله تعالى: ﴿... وَ لا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إِلاَّ ماظَهَرَ مِنْها وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِن...﴾ (النور: ۳۱) إن الله تعالى صور الحياة الثقافية الجاهلية فی هذه الآية الكريمة بأن المجتمع الجاهلی كانت السمة السائدة على بناتها إبداء الزينة إغراءاً للرجال واستمالة لهم. فمن أجل ذلک نری أنّ القرآن الكريم كيف ينهی المرأة من أن تبدی بواطن زينتها للأجانب وتفرض عليها ستر البدن بكيفية لا تجلب أنظار الأجنبی وكل ذلک اتقاءاً لشرّ الفتنة وحذراً من الوقوع فی الحب المفرط. واندفاعاً بذلک نری

الحطيئة بعد الإسلام يبتدع فی وصف الزينة ويعتبر الخمر والمعاطف والأزر كزينة أخرى للمرأة إلى جانب تزينها بالحلی فيقول فی نسيب من هجائه لبنی بجاد:

إلى طفلةِ الأطراف زين جيدها   مع الحلی والطيب المجاسِدُ والخمر
من البيض كالغزلان والغُرّ كالدّمی   حسانٍ عليهنّ المعاطفُ و الأزُر

(البستانی، لاتا، ج۲: ۳۸)

كما يبدو أنّ البعض الآخر قد أسرفن فی السفور والتبرج عند الخروج فنهاهنّ الله عن ذلک بقوله الكريم: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ...﴾ (الأحزاب: ۳۳) والشاهد على ذلک كثير فی أشعار الغزليين الجاهليين والأمويين خاصة أنّ المرأة الجاهلية كانت تزهو بحسنها وجمالها وتعتبر الشعر تكريماً لها أو لأتراب لها، لا يسبقنها فی الحسن والجمال وهی ترجو أن يتسابق فی وصفها الشعراء ويتغنوا باسمها ما يجعلها رفيعة الشأن، ذائعة الصيت. من ذلک أن خرقاء العامرية ـ على سبيل المثال ـ كانت فی طريق الحاج وكان جمهرة من الشعراء يمرون بها، ويجدون من حسن وفادتها، ما تجد هی من غزلهم، ورقة أشعارهم وكل ذلک من أجل أنها كانت تتكشف لهم وتبدی لهم ماكانت لها من الزينة وعشرة الكلام. ومن هؤلاء ذوالرمة يقول فيها:

تمام الحج أن تقف المطايا   على خرقاء واضعة اللثام

(أبورحاب، ۱۹۴۷م: ۲۴)

لكن عمر بن أبی ربيعة من بعد الإسلام كان من أولئک الذين لم يكن يتمتع بذلک دائماً عند أيام الحج لأن من المسلمات من كانت تتستر بوجهها ورأسها سوى الكفين والمعصم وفيه يقول:

لقد عَرَضَت لی بالمحصّب من منی   لِحَينیَ شمسٌ سُتّرت بيمانِ
بدا لی منها معصمٌ يومَ جمّرَت   وكفٌّ خضيبٌ زُينت ببنانِ
فواللهِ ما أدری وإنّی حاسبٌ   بسبعٍ رميتُ الجمرَ أم بثمانِ[1]

(البستانی، لاتا، ج۲: ۳۸)

۱. المحصب: اسم الشعب الذی مخرجه إلى الأبطح بين مكة ومنی، سمی بذلک لكثرة الحصباء فيه. الحين: الهلاک. اليمانی: ثوب منسوب إلى اليمن.

وهکذا نجد ابن علس الشاعر الجاهلی أنه کیف یصف سلمی لکشف قناعها إدلالاً بحسنها، وسبیاً لحبیبها، جریاً علی عرف معروف فی القبیلة، حیث قال ابن علس:

أرحلتَ من سلمی بغیر متاع | قبل العطاس ورعتها بوداع
إذ تستبیک بأصلتیٍّ ناعم | قامت لتفتنه بغیر قناع[1]

(السید المرتضی، ١٩٠٧م، ج٣: ٢٢؛ الشیخ الطوسی، ١٤٠٩ق، ج٤: ٥٥٦؛ الشیخ الطبرسی، ١٣٧٩ق، ج٤: ٣٦٧)

أمّا من غیر أیام الحج فلم یکن الشعراء لیغفلوا عن وصف جمال النساء الظاعنات، ووصف حلیهن وکیف یغفلون وهذا وقت الزینة؟ إن المرأة إذا ما سافرت أخذت زینتها؛ لأنها تعلم أن نساء الحی سیرینها حین یودعنها، ولأنها تعلم أنها قد تلقی فی الطریق نساء أخر مرتحلات مثلها، فیوم سفرها یوم زینتها، وتبرجها لهذا کن یسبین بجمالهن وحلیهن وحرکاتهن قلوب الرجال. والمثقب العبدی یصف النساء المرتحلات وهنّ علی المراکب جالسات قد أبدین عیونهنّ من خلال الوصاوص وسترن الجیاد وأجسادهم وأظهرن بعض الزینة المتسربل علی صدورهن. قال المثقب العبدی بعد أن ذکر طرق الرحلة:

وهنّ علی الرجائز واکنات | قواتل کل أشجع مستکین
کغزلان خذلن بذات ضأن | تنوش الدانیات من الغصون
ظهرن بکلة وسدلن أخری | وثقّبن الوصاوص للعیون
وهن علی الظِّلام مطلبات | طویلات الذوائب والقرون
أرین محاسنا وکنن أخری | من الأجیاد والبشر المصون
ومن ذهب یلوح علی تریب | کلون العاج لیس بذی غضون[2]

(البستانی، لاتا، ج١: ١٩٨)

١. العطاس: الصبح؛ لتفتنه أی: لتکشفه وتبرزه والسبی: الأسر، وأصلت الجبین: واسعه، والیاء للمبالغة والناعم: اللین الملمس.

٢. الرجائز: مراکب النساء. واکنات: مطمئنات. الأشجع: الطویل. خذلن: تخلفن عن صواحبهن وأقمن علی أولادهن. الضأن: السدر البری. تنوش: تتناول. الوصاوص: البراقع الصغار، أراد أنهن حدیثات الأسنان فبراقعهن صغار، وقیل إنه لقب بالمثقب لهذا البیت. الظلام: الظلم.

وقال أبو النجم العجلی:

من کل عجزاء سقوط البرقع بلهاء لم تحفظ ولم تضیع[1]

(السید المرتضی، ۱۹۰۷م، ج۱: ۳۱ و۳۲)

فأراد الشاعر من قوله «سقوط البرقع» أنها تبرز وجهها ولا تستره ثقةً بحسنه وإدلالا بجماله. ومثل قوله «سقوط البرقع» قول الشاعرعمر بن أبی ربیعة:

ولماتفاوضناالحدیثوأسفرت وجوه زهاها الحسن أن تتقنعا[2]

(الاصفهانی، لاتا، ج۸: ۱۵۳)

إن التبرج وبالتالی مواجهة النساء البارزات یوقع القلوب فی الحب ویطمعها التمتّع بالنظر أو التلذّذ بالحدیث والسماع والوصال، والذی یراجع تاریخ العشاق فی حیاتهم سیری أنه کیف وقعوا فی أحابیل الحیل الشیطانیة لأجل عدم التزام المرأة بالستر المناسب والقول المعروف وعدم غض البصر من جانب الرجل.

وقد استدام الزهو بالجمال إلی جانب الإعتداد بالتصون کباعث للمرأة علی السفور فی الإسلام، فقد عاتب مصعب بن الزبیر عائشة بنت طلحة فی سفورها فقالت: إن الله تبارک وتعالی وَسَمنی بمیسم الجمال، فأحببت أن یراه الناس، ویعرفوا فضله علیهم، فما کنت لأستره، والله ما فیّ وصمة یقدر أن یذکرنی بها أحد. (الاصفهانی، لاتا، ج۱۰: ۵۱)

وفیه تسجیل من الشعراء لمثل هذا الموقف کقول الشماخ:

بها شرق من زعفران وعنبر أطارت من الحسن الرّداء المحبّرا

(السید المرتضی،۱۹۰۷م، ج۱: ۳۲)

أی رمت بها عنها ثقة بالجمال والکمال. ومثله وهو ملیح:

لهونا بمنجول البراقع حقبة فما بال دهر لزنا بالوصاوص[3]

فإنه أراد الشاعر «بمنجول البراقع» اللاتی یوسعن عیون براقعهن ثقة بحسنهن ومنه

۱. قوله «لم تحفظ»: أراد أن استقامة طرائقها تغنی عن حفظها وأنها لعفافها ونزاهتها غیر محتاجة إلی مسدد وموقف، وقوله: «لم تضیع» أراد أنها لم تهمل فی أغذیتها وتنعیمها وترفیهها فتشقی.

۲. وفی بعض النسخ ورد المصرع الأول: «فلما تواقفنا وسلّمتُ أشرقت».

۳. الوصاوص: هی النقب الصغار للبراقع.

الطعنة النجلاء والعین النجلاء ثم قال: ما بال دهر أحوجنا واضطرنا إلی القباح اللواتی یضیقن عیون براقعهن لقبحهن.

٣. الفقر والجوع

کان من دواعی السفور لدی المرأة الجاهلیة معاناتها من الجوع والفقر. حیث إنها إذا تضوّرت جوعاً وانماثت عطشاً ترکت العزلة والخفر وخرجت عن احتجابها وحضرت محضرالسوء سداً للجوع وکسباً للرزق. وقد بدت خطورة عملها هذا عند العرب غَیرةً منهم علیها فتفانوا فی الاحتفاظ علیها حرصاً علی العرض وخوفاً من الفضیحة.

من الصعالیک هذا عروة بن الورد جمع صفات الصعلکة إلی درجة عالیة من الشجاعة، والجود، وکرم النفس، وبعد الهمة والتصوّن عن الفحش حتی روی عن عبد الملک: «من زعم أن حاتماً اسمح الناس فقد ظلم عروة ابن الورد.» (البستانی، لاتا، ج١: ١٩) فعروة کذلک عفیف البصر وعدیم النظر إلی من لاتحلّ له ومن شعره:

ولا یستضام،الدهرَ، جاری، ولا أُریَ   کمن باتَ تسری للصدیق عقاربُه
وإن جارتی ألوت ریاحٌ ببیتها   تغافلتُ حتی یستُرَ البیتَ جانبُه

وها هو نفسه نراه من جهة ثانیة مترفعاً عن دنس الریبة لحلیلته ومغیاراً یغار علیها من تهتک سترها والمحضر السیء أی ظهورها بعدم التستر للمسألة والطلب ویقول:

ذرینی أطوّف فی البلاد لعلّنی   أخلّیکِ أو أغنیکِ عن سوء مَحضَر
فإن فاز سهمٌ للمنیةِ لم أکُن   جزوعاً وهل عن ذاک من متأخّرِ
وإن فاز سهمی کفّکم عن مقاعِدٍ   لکم خلفَ أدبار البیوتِ ومنظرِ

(البستانی، لاتا، ج١: ٢١)

مما یجدر الانتباه إلیه أن عبارة «سوء محضر» و«مقاعد ومنظر خلف أدبار البیوت» یکنی بها عن السؤال والطلب عند الشدة والضیق مما یؤدی إلی الخروج عن الخدور وعدم التستر وهذا ما لا تقبله نفوسهم الأبیة الغیورة ودلالة ذلک فی قول لبید بن ربیعة الذی عاش فی قومه عیشة السادة مقریاً للضیف، منجداً للضعیف ومترفعاً عن التکسب

بالشعر حتی ظهر الإسلام فدخل فیه مع فریق من قومه العامریین فی حدود سنة ۶۳۰م. یذکر سادات قومه المتوفین ویمدح منهم إلی أن یقول:

وبالفورة الحرّابُ ذو الفضل عامرٌ فنعمَ ضیاءُ الطارقِ المتنوّرِ
ونعمَ مُناخُ الجارِ حلَّ ببیتهِ إذا ما الکَعابُ أصبحَت لم تَستَّرِ

(البستانی، لاتا، ج۱: ۱۱۸)

شاهد القول فی البیت الثانی فی «إذا ما الکعاب...» فیرید أن یقول إن الجاریة الحسناء أصبحت لم تتستّر من الجوع والجهد لأنها تترک التعزل والخفر، إذ ذاک. فهنا یصف جودهم وغیرتهم علی حفظ أعراض الجار وهنالک عروة کان یحذر أهله من سوء مثل هذا الحضور الفاضح البشع.

۴. کراهیة السبی (الخوف والفزع)

إنّ المرأة کانت تعتزّ بحریتها وتبغض هوانها بالسبی خاصة أنها تبتعد عن وطنها وتفقد أهلها فی الغربة. ففی الحروب کانت المرأة العربیة الجاهلیة تسفر إذا أیقنت هزیمة قومها وخشیت السبی فتتشبه بالأمة حتی یُزهَد فیها وتتأهب للفرار سافرة، یقول قیس بن الخطیم:

صبحناکمُ شهباءَ یبرُقُ بیضُها تُبینُ خلاخیلَ النساء الهوارب

(القرشی،۱۹۲۶م: ۲۵۲)

ویقول عوف بن عطیة التمیمی:

ولنعم فتیانُ الصباح لقیتمُ وإذا النساء حواسرٌ کالعُنقُر
من کل واضعة الخمار وأختها تسعَی ومنطَقُها مکانَ المِئزَر[۱]

(الضبی، لاتا، ج۲: ۱۲۷)

ویشیر طرفة إلی الکشف عن السوق حین الهول والفزع من الحرب والتأهب من

۱. العنقر: أصول القصب والبقل والبردی مادام أبیض. منطقها مکان المئزر، سقط إزارها من فزعها فظهر منطقها.

الفرار، وهن يفعلن ذلک خشية السبی فيسفرن ليظن أنهن إماء:

يوم تُبدی البيض عن أسوقها وتلف الخيل أعراج النَّعم

(الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۰؛ و ج۲۴: ۸۵)

ويقول المهلهل:

علی أن ليس يوفی من كليب إذا برزت مخبّأة الخُدور

(الاصفهانی، لاتا، ج۵: ۵۳)

ويقول سبرة بن عمرو الفقعسی فی هجاء بنی نهشل إن نسوتهم تشبهن بالإماء مخافة السباء فبرزن مكشوفات:

ونسوتكم فی الرّوع بادٍ وجوهها يُخَلنَ إماء والإماء حرائر

(البغدادی، لاتا، ج۹: ۵۰۹)

ومن قول بشر بن أبی خازم فی هذا المعنی:

فلمّا أيقنوا بالموتِ ولّوا شِلالاً مُرمِلينَ بكلِّ قاعِ

وكم من مُرضعٍ قد غادروها لهيفَ القلبِ كاشفةَ القِناعِ

ومن أخری مثابَرةٍ تنادی ألا خلّيتُمونا للضياع

ومن دلالات السفور عند الخوف والفزع ما كان للشاعر توبة بن حمير فيقال إنه: إذا أتی ليلی الأخيلية خرجت إليه فی برقع فلما شهر أمره شكوه إلی السلطان فأباحهم دمه إن أتاهم فمكثوا له فی الموضع الذی كان يلقاها فيه فلما علمت به خرجت سافرة حتی جلست فی طريقة فلما رآها سافرة فطن لما أرادت وعلم أنه قد رصد وأنها سفرت لذلک تحذره فركض فرسه فنجا. وذلک قوله:

وكنت إذا ما زرت ليلی تبرقعت[1] فقد رابنی منها الغداة سفورها

وقد رابنی منها صدود رأيته وإعراضها عن حاجتی وبسورها

(الاصفهانی، لاتا، ج۱: ۲۱۱)

۱. البُرقُع: والبُرقَع والبِرقِع: ما تستر به المرأة وجهها، والجمع: البراقع. تبرقَعَت المرأة: لَبِست البرقع. وبرقَعها: ألبسها إياه. (يوسف موسی والصعيدی، ۱۴۱۰ق، ج۱: ۳۷۴)

فقال الحجاج یا لیلی ما الذی رابه من سفورک فقالت أیها الأمیر کان یلمّ بی کثیراً فأرسل إلیّ یوما إنی آتیک وفطن الحیّ فأرصدوا له فلمّا أتانی سفرت عن وجهی فعلم أن ذلک لشر فلم یزد علی التسلیم والرجوع فقال لله درک. (زکی صفوت، لاتا، ج۲: ۴۱۰)

کما یبدو من البیت الثالث أن لیلی کانت تتبرقع علی النمط الجاهلی حتی أمام حبیبها ولکنها عندما اقتضت الحاجة ولکی تنبیء عن أمر خطیر کشفت عن برقعها وهذا ما یدل علی أن التستر کان یلتزم بها البعض بشکل غیر ما فُرِضت فی الإسلام.

ومن ذلک ما قال الأعرج فی هذا المعنی:

أری أم سهل ما تزال تفجع تلوم وما أدری علام توجع
تلوم علی أن أمنحَ الوردَ لَقحةً وما تستوی والوردَ ساعة تَفزَع
إذا هی قامت حاسراً مشمعِلَّةً نخیبَ الفؤاد رأسُها ما تُقنِّعُ[1]

(الزبیدی، ۱۹۹۴م، ج۲۰: ۴۱۲)

وقال الشمردل بن شریک فی رثاء أخیه وائل ومدحه بأنه کان موئلاً لنساء مروّعات، فزِعات فی یوم کریهٍ کادت المرأة تکشف فیه عن خلاخیلها فرَقاً من السبی:

إذااستعبرت عوذُالنساء وشمرت مآزر یومٍ لا تُوارِی خلاخلُه
وثقن به عند الحفیظة فارعوی إلی صوته جاراته وحلائله

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۲: ۱۱۳)

ولم یقتصرالحدیث عن السفور لمثل داعیة الرعب علی العهد الجاهلی وإنما طرقه شعراء آخرون فی أشعارهم فیما بعد الإسلام کما لمح الحطیئة إلی هذا الدأب الجاهلی فی شعره قائلاً من فخره:

ونحنُ إذا ما الخیلُ جاءت کأنها جرادٌ زفَت أعجازَه الریحُ منتَشِر

۱. اللقحة: الناقة التی بها لبن، والورد: اسم فرسه. الحاسر: المنکشف الرأس، والمشمعل: الجاد فی جریه، والنخیب: الضعیف، والمقنع: اللابس القناع. یقول: وما تستوی أم سهل مع الورد ساعة الفزع إذا قامت أم سهل مشمعلة أی جادة فی الجری. نخیب الفؤاد: أی طائرة اللب لإقناع علی رأسها لدهشتها وهذا بیان لحالها ساعة الفزع.

إذا الخفرات البيض أبدت خِدامها وقامت فزالت عن معاقِدها الأزُر[1]

(البستانی، لاتا،ج۲: ۳۹)

ویقول مهیار الدیلمی مشیراً إلی هذا التقلید الجاهلی فی وصف بیت لمروحة الخیش:

ومنشورة سترَت نفسها فخاطت قمیصاً ولاثت خماراً
وعزَّت فصانت سوی ساقها وما إن أباحته إلاّ اضطراراً
تشمّرُ عنه جلابیبها لعادتِه أن یخوض الغِمارا
فکادت تواریه ضِنّا به ومن حسنِها أنه لا یُوارى
تشکّکنی وهی طوع الریاح تتبعُها یَمنة أو یساراً

(البستانی، لاتا، ج۳: ۲۱۰)

إنّ هذا العرف قد اندرس بعد ظهور الإسلام بکثیر وبقی الالتزام بالحجاب فی معمعة الحرب وصروف الدهر غایة اعتقادیة ذات قیمة ملموسة لن تتخل عنه المسلمة العربیة المؤمنة بالله ورسوله وقد بلغ ذلک مبلغ کماله عند عترة النبی (ص) خاصة فی یوم عاشوراء. قال العلامة المحقق المرحوم المقرم فی کتابه «مقتل الحسین»: «لما قتل أبو عبدالله الحسین علیه السلام مال الناس علی ثقله ومتاعه وانتهبوا ما فی الخیام وأضرموا النار فیها وتسابق القوم علی سلب حرائر الرسول (ص) ففررن بنات الزهراء(ع) حواسر مسلبات باکیات وأن المرأة لتسلب مقنعتها من رأسها وخاتمها من إصبعها وقرطها من أذنها والخلخال من رجلها» (المقرم، ۱۴۱۴ق: ۳۰۰). یقول الشریف الرضی واصفاً أهل بیت الرسول (ص) فی یوم الطف فی مرثیته لحسین بن علی(ع):

لیس هذا لرسول الله یا أُمّة الطغیان والبغی، جزا
جَزَروا جزرَ الأضاحی نسلَه ثم ساقوا أَهلَه سوقَ الإما
معجلاتٍ لا یوارین ضُحًی سُنَنَ الأوجه أو بیض الطُلى

(البستانی، لاتا، ج۳: ۱۸۲)

۱. زفت: استخفته وحملته. الخفرات: النساء الحییات. الخدام: مفردها خدمة: الساق، وهو کنایة عن الفزع والهرب وقت الحرب.

هاتِفات برسول الله فی بُهُرِ السعیِ وعثراتِ الخُطی
یومَ لا کسرَ حجابٍ مانعٌ بذلة العینِ ولا ظلّ خِبا

وقال عبد المنعم الفرطوسی من قصیدة له:

وکم حرة حسری بدت من خباً لها ولیس لدیها ساتر غیر «مرفق»

(المقرم، ۱۴۱۴ق:۳۰۰)

إنه قد أکثر الشعراء من وصف هذه الرزیة العظیمة وما أدراک ما هی؟ إن زینب بنت علی بن أبی طالب (ع) عندما ألقت تلک الخطبة الغراء فی مجلس یزید بن معاویة بعد واقعة الطف أول ما بثت عن نفثاتها المصدورة کان لها شکوی عن هتک الستور والکشف عن الوجوه فقالت: «أمن العدل یا ابن الطلقاء، تخدیرک حرائرک وإماءک، وسوقک بنات رسول الله سبایا. قد هتکت ستورهن، وأبدیت وجوههنّ، تحدو بهن الأعداء من بلد إلی بلد، ویستشرفهن أهل المناهل والمعاقل، ویتصفح وجوههنّ القریب والبعید، والدنی والشریف، لیس معهن من حماتهن حمی ولا من رجالهن ولی...» (المقرم،۱۴۱۴ق: ۳۵۸)

۵. إبراز المحبة

ومن أسباب سفورها شق الرداء والبرقع لدوام المحبة. زعموا أن المرأة إذا أحبت رجلا أو أحبها ولم تشق علیه رداءه ویشق علیها برقعها فسد حبهما قال الشاعر:

إذا شقّ بُرد شقَّ بالبُردِ برقعٌ دوالَیک حتی کلنا غیر لابس
فکم قد شققنا من رداء محبر ومن برقع عن طفلة غیر عانس

(القلقشندی، ۱۹۸۷م، ج۱: ۴۶۴)

وفی «الأغانی» عن علی بن المغیرة الأثرم قال: قال أبو عبیدة الذی تناهی إلینا من حدیث سحیم عبد بنی الحسحاس إنّه جالس نسوة من بنی صبیر بن یربوع وکان من شأنهم إذا جلسوا للتغزل أن یتعابثوا بشقّ الثیاب وشدّة المغالبة علی إبداء المحاسن، فقال سحیم:

كأن الصبيريات يوم لقيننا ظباء حنت أعناقها فی المكانس
فكم قد شققنا من رداء منير ومن برقع عن طفلة غير ناعس
إذا شق برد شق بالبرد برقع على ذاک حتى كلنا غير لابس

(الاصفهانی، لاتا، ج۲۲: ۳۱۰)

۶. عرف القبيلة

إنّه قد لا يكون السفور دليله من أجل عرض الجمال أو الافتخار بالكمال أو المكانة وإنما قد يعود سببه إلى عرف القبيلة وعدم اعتقادها بلزوم التستر فالمرأة حينئذٍ لا تغطی نفسها بستر خضوعاً لعرف القبيلة خاصة إذا كانت على ثقة من عفاف الجار، يقول الشنفری:

عفاهيّةٌ لا تَقصُر الستر دونها ولا تُرتَجى للبيت إن لم تُبيّتِ

(ابن منظور، لاتا، ج۱۳: ۵۱۸؛ الاصفهانی، لاتا، ج۲۱: ۹۱)

كما رويت عن عائشة أخبار عدة فی المصادر الروائية والتفسيرية تثبت أن بعض النساء كن يسفرن تباعاً لتقاليد القبيلة الموروثة من ذلک قولها: «إن نساء الأنصار لما نزلت سورة النور عمدن إلى حُجور أو (حجوز) فشققنهنّ فاتخذن خمراً.» وقولها: «يرحم الله النساء المهاجرات الأول، لما أنزل الله: ﴿... وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ...﴾ (النور: ۳۱) شققن أكثف مروطهنّ فاختمرن بها.» وروی عن أمّ سلمة أنّه لما نزلت: ﴿... يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...﴾ (الأحزاب: ۵۹) خرج نساء الأنصار كأن على رؤوسهنّ الغربان من الأكسية.» (السجستانی، ۱۹۹۰م، ج۲: ۲۶۹)

فعلى ذلک كان السبب الرئيسی والأكثر تأثيراً لسفور المرأة الجاهلية هو عرف القبيلة. وفيه يقول الجاحظ: «إنّ الغالبية فی النساء الجاهلية أنهن كن سوافر حواسر مكشوفات الوجوه والجيوب إذ لم يكن بين الرجال والنساء حجاب ولا كانوا يرضون مع سقوط الحجاب بنظرة الفلتة ولا لحظة الخُلسة... ثم كانت الشرائف من النساء يقعدن للرجال للحديث ولم يكن النظر من بعضهم إلى بعض عاراً فی الجاهلية ولا حراماً.»

(الحوفی، لاتا: ۳۶۹ نقلاً عن رسالة القیان للجاحظ ص۵۶) وکانوا إذا توسم رجل منهم نظرة إلی امرأته أو أخته أو ابنته بریبة طُلب الناظر إلی التبارز أو التجالد أو المصارعة، وربما نشب القتال بین القبائل غیرة علی نظرة مریبة (واجدة مجید، ۱۹۸۱م: ۳۰). فإلی ذلک حمد الرجل سیرته إذا ما کان له نظرة طیبة طاهرة بریئة من الریب أو له غض من البصر عند التقاءه بالمرأة الأجنبیة. قال ابن حبیب: قال عبد الملک لمؤدب ولده إذا رویتهم شعرا فلا تروهم إلا مثل قول العجیر السلولی:

یبین الجار حین یبین عنی ولم تأنس إلی کلاب جاری
وتظعن جارتی من جنب بیتی ولم تستر بستر من جداری
وتأمن أن أطالع حین آتی علیها و هی واضعة الخمار
کذلک هدی آبائی قدیما توارثه النجار عن النجار

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۳: ۸۱)

کما هو بیّن إن العرب الجاهلی کان لدیهم لبس الخمار معروف، لکن الأمر لم یکن سائداً دائماً بینهم ولم یکن الالتزام بلبسه جاریاً فی کل الظروف فی ثقافتهم فالمرأة الجاهلیة أحیاناً إذا اطمأنت من عفاف أحد لم تتعهد بالستر ووضعت الخمار مثل ما مرّ فی قول السلولی حیث وضعت الجارة الخمار لاطمئنان لها من جارها.وهذا هو التراث القَبلیّ الثقافیّ الذی انتقل من جیل إلی جیل.

وللحاتم الطائی کلام یذکر فیه رفده لجارتها لدی غیاب البعل من دون زیارتها أو إلقاء نظرة علیها مما یدل علی أهمیّة التعفّف والتباهی به کفضیلة أخلاقیّة لدی الرّجل واعتزاز المرأة بعفّتها واعتدادها بتصوّنها من دون أن یُقصر علیها ستر أو حجاب. فیقول:

سیبلُغُها خیری ویرجِعُ بَعلُها إلیها ولم یُقصَرعلیَّ سُتورُها

(الطائی، لاتا: ۵۲)

وله إشارة أخری إلی تکریم المرأة فی تسترها عند غیاب زوجها وهی أنه لا یأتی الجارة لیلاً وبعلها غافل أو غائب عنها إلا إذا اضطر إلی حمل طعام أو هدیة إلیها وذلک باطمئنان من عفّة البصر ومعروف الکلام وعدم الافتنان حیث بعلها لا یمسّ عرضه

بسوء:

لا نطرقُ الجاراتِ من بعدِ هَجعةٍ ... من اللَّيلِ إلاّ بالهدية تُحمَلُ
ولا يُلطَمُ ابنُ العمّ وسطَ بُيوتِنا ... ولا نَتَصَبّى عرسَهُ حينَ يَغفُلُ[1]

(الطائی، لاتا: ۷۲ و۷۳)

المرأة الجاهلية وأسباب سترها

الدلالات الذاتية (الفطرة، الغيرة)

۱. الفطرة

إنّ الفطرة البشرية النبيلة تميل إلى ستر المرأة وعفافها وطهارتها وحياءها فكلما تحلت المرأة بزينة العفاف والحياء والتمنع أكثر تجلى منها الجمال النفسی للرجل أكثر حتى ولو كان الرجل فاسقاً مستهتراً لا يغار على أهله. فنفاسة المرأة لاتتأتى فی الوهلة الأولى إلا من وراء التصون وكونها بكراً. وعلى ذلک قد استهوى الخلق الطاهر الأعشى ـ وهو صاحب خمر ولذة حسية ـ ورفضت ذاتيته الدعارة وقلة الحياء من المرأة وخلق من عقليته المنبعثة عن سرّ باطنه امرأة طيبة السمعة لا تتناولها الألسن وهی المطلوبة له فيقول:

أو بيضةٍ فی الدّعصِ مكنونةٍ ... أو دُرّةٍ شِيفَت لدى تاجرِ
يشفی غليلَ النفسِ لاهٍ بها ... حَوراءُ تُصبی نظرَ الناظرِ
ليست بسوداءَ ولا عنفِصٍ ... تسارقُ الطرفَ إلى الداعرِ
عَبهَرة الخُلقِ بُلاخِيَّةٌ ... تشوبه بالخُلُقِ الطاهر[2]

(الحِتی، لاتا: ۱۷۸)

۱. يلطم: المضارع من لطم يلطم فلاناً: ضرب صفحة خدّه بباطن الكف، واللطم المقصود هنا ليس الصفع باليد أو الكفّ ولكنهّ النيل من شرف الملظوم والإساءة إلى عرضه. العرس: الزوجة. حين يغفل: سهما عنه وتركه.

۲. عنفص: بذيئة قليلة الحياء أو داعرة. عبهرة: عظيمة حسنة الخلقة. بلاخية: طويلة لينة. وفی نسخة (الفراهيدی، ۱۴۱۴ق، ج۴: ۲۲۵؛ و الزبيدی، لاتا، ج۴: ۲۹۱) هكذا ورد: عبهرة الخلق طباخية تزينه بالخلق الطاهر؛ والطباخية: شابة مكتنزة.

بناء على هذه الفطرة الموهوبة قال الله تعالى فى تشجيع الإنسان على عمل الخير والعفاف: ﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَكْنُونٌ﴾ (الصافات: ۴۹) فعلماً برغبة الرجال إلى عفة المرأة المحصنة وصف نساء الجنة بالمتسترات المصونات فشبّههنّ ببطن البيض قبل أن يقشر و تمسّه الأيدى. ومنه قول امرئ القيس وإن كان إباحياً لا يصرفه عن إباحيته شيء لكنه فى سرّه المكنون وشخصيته اللاواعية يستهوى المتسترة المكنونة المصونة عن النظر واللمس وهذا المعنى كثير فى أشعار العرب:

وبيضة خدر لا يرام خباؤها　　　تمتّعت من لهو بها غير معجل

ومنه قوله:

كبكر مقاناة البياض بصفرة　　　غذاها نمير المال غير محلل

إنّ الله تعالى أمّل الإنسان بالحور العين الشبيهات باللؤلؤ المكنون حسب فطرته الطاهرة لعله يرتدع عن غيه وضلاله فلا يكدر الفطرة بحبه وميله إلى الإباحة والسفور وقال فى قوله الكريم: ﴿حُورٌ عِينٌ كَأَمْثالِ اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ﴾ (الواقعة: ۲۳) فشبههنّ باللؤلؤ المكنون أى المستور بما يحفظه لأنه أصفى وأبعد من التغير، وفى الحديث صفاؤهن كصفاء الدر الذى لا تمسه الأيدى (آلوسى، لاتا، ج۲۷: ۱۳۸). وهكذا الشعراء رغماً على ظواهرهم النفسية مدحوا المرأة المكنونة المستورة العفيفة، مثل قول الشاعر عمر بن أبى ربيعة:

وهى بيضاء مثل لؤلؤة الغوّا　　　ص ميزت من جوهر مكنون

وهذه من المواضع التى تدل على أن العفاف كان مهتما به عند الشعراء الجاهليين حيث استعملوا كلمة اللؤلؤ فى تشبيههم النساء العفيفات المصونات بالدرّة. ووصف الحسنات بذلك شائع فى العرب، ومنه قوله:

قامت تراءى بين سجفى كلّة　　　كالشمس يوم طلوعها بالأسعد
أو درّة صدفيّة غوّاصها　　　بهج متى يرها يهلّ ويسجد

(آلوسى، لاتا، ج۱۴: ۱۳۹)

مما يستجلب النظر أن أقصى ما بلغه الشعراء فى وصف المرأة أنهم نعتوها بالدرة

النفيسة لإشراقها وبياضها الناشیء عن الصيانة وكونها مكنونة محفوظة غير متيسرة ليد لامسة أو عين ناظرة وغير متعرضة لعارضة شمس أو هواء ليتغير لونها فيذهب بهاءها ووضاءتها، أو جعلوا المرأة درةً يحرسها الجنّ عن رؤية الإنس وإذا ما ظفر به الإنس جعله حارساً يحميها عن أنظار الغير. قد رسم الأعشى الصورة الأخيرة فی قصيدته المشهورة «الدرة الزهراء» وهی من قصائده القليلة التی فرغ فيها للغزل. جعل فيها مارداً من الجن يحرس هذه الدرة، ولا يغفل عنها ليلا ولا نهاراً حتی لا يأخذها غواص، وجعل هذا الغواص الذی ظفر بها مترقباً لها مذ كان شاباً فمن قصيدته يقول:

كأنها درةٌ زهراء أخرجها ... غواصُ دارِينَ يخشی دونها الغَرَقَا
قد رامها حِججاً مذ طَرَّ شارِبُه ... حتی تسعسَع يرجوها وقد خَفَقَا
ومارِدٌ مِن غُواةِ الجِنّ يحرُسُها ... ذونِيقَةٍ، مستعِدٌ دونَها تَرَقَا
ليست له غفلةٌ عنها، يَطيفُ بها ... يخشی عليها سُری السارِينَ والسَرَقَا

(الحتی، لاتا: ٢١٨)

وشبهها المسيَّب بن علس بالدرة وأطال فی وصفها وكيفية الحصول عليها، وصور المجهودات والمشقات التی بذلت لاستخراجها من البحر الهائج المواج، حتی لقد ترصدها الغواصون شهورا، ولم يقدر علی صيدها إلا صياد فارع الطول صبور ضامر خفيف، أطلی بالزيت ليقی جسده من الماء الأجاج، تدفعه الرغبة إلی أن ينال هذه الدرة، لأنه شديد الحاجة والمسغبة، وهو عاقد العزم علی أن ينالها؛ لأن أباه كان يبتغيها من قبل فغرق، فلا بد أن يثأر منها، وقد قضی نصف النهار يفتش عنها، والماء يغمره، ولم ينثن حتی فاز بها، فأخرجها متلألئة كالجمر، وإن الملاحين ليشاركونه فی إعجابه بها فيسجدون لها، وأنه ليضمها إلی صدره إعزازاً لها، ثم قال: إن هذه الدرة النفيسة تشبه الحبيبة حين تشرق من خدرها فيقول من مقطوعته الشعرية:

كجمانة البحری جاء بها ... غواصها من لجة البحر

إلی أن يقول:

فأصاب مُنيتَه فجاء بها ... صدَفيَّة كمضيئة الجمر

يعطی بها ثمناً ويمنعها ويقول صاحبه ألا تشری؟
وتری الصرارى يسجدون لها ويضمها بيديه للنحر
فلتلک شبه المالكية إذ طلعَت ببهجتها من الخدر

(البغدادی، لاتا، ج۳: ۲۲۳)

وسلک هذا المسلک فی إيجاز، المخبل السعدی فی قوله:

وتريک وجهاً كالصحيفة لا ظمآن مختلج ولا جهم
كعقيلة الدر استضاء بها محراب عرش عزيزها العُجم
أغلى بها ثمناً وجاء بها شخت العظام كأنه سهم
بلبانة زيت وأخرجها من ذی غوارب وسطه اللُّخم

(الزبيدی،۱۹۹۴م ،ج۱: ۲۰۴؛ الضبی، لاتا، ج۱: ۱۱۳؛ الحوفی، لاتا: ۴۷و۴۸)

ولكن أين هذا الوصف الذی اقتصر فيه الشاعر على ابتعاد الإنس عنها دون الجنّ مما جاء فی الوحی المنزل فی وصف المرأة الخفرة المصونة عن كل لمسة ونظرة حتی عن حراسة الجن حيث لا يبلغ كنه وصفه فكر بشر وذلک قوله تعالی: ﴿**حورٌمقصورات فی الخيام**﴾ (الرحمن: ۷۲) وقوله تعالی: ﴿**فيهنّ قاصِراتُ الطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلا جَانٌّ**﴾ (الرحمن: ۵۶) وهذه قمّة الكمال المبتغاة لستر المرأة حيث لم يمسّها بشر أو جن من ذكر وأنثی ولم يرها أحد منهم لأنهنّ أنشئن إنشاءاً جديداً وبديعاً. كما ورد فی بعض الأحاديث ما مضمونها أنّ خيرهن فی هذه الدنيا من لم يلقين الرجال، ولم يرهنّ الرجال. وهذه هی الغاية التی لم يبلغها غالبية الشعراء فی وصفهم. قال رجل لخاطب ابغ لی امرأة لا تؤنس جاراً ولا توطّن داراً يعنی لا تدخل علی الجيران ولا تدخل الجيران عليها وفی مثل هذا قال الشاعر:

هيفاء فيها إذا استقبلتها صلف عيطاء غامضة الكعبين معطار
خود من الخفرات البيض لم يرها بساحة الدار لا بعل ولا جار

وقال الأعشی من وصفها:

لم تمش ميلا ولم تركب علی جمل ولم تر الشمس دونها الكلل

(الأبشيهی،۱۹۸۶م، ج۲: ۴۸۹)

وكذلک قد أثر حياء المرأة كأمر فطرى فى حجابها فحياءها الذى جروا فى مدحه لها شعراء كثيرون، قد أعاقها عن الظهور بمنظر من الناس ومنعها من الحضور من غير الحشمة بما يؤذى أو يغرى الآخرين حيث لمح إلى ذلک بعض الشعراء فى أنها قد تقلّ زوراتها لجاراتها، فيعذرنها ويزرنها، وهى ليست مستهينة بهن ولكنها ذات حياء وخفر، قال قيس بن الأسلت:

وتكرمها جاراتها فيزرنها وتعتلّ عن اتيانهن فتُعذر
وليس لها أن تستهين بجارة ولكنها منهن تحيا وتخفر

(الاصفهانى، لاتا، ج١٥: ١٥٩)

٢. الغيرة

وكذلک يمكن أن نعتبر الغيرة بأنّها تمثل دوراً فاعلاً فى صيانة المرأة وسترها كدلالة نفسية إيجابية ولكن قد تكون الغيرة فى غير موضعها فتضع أوزارها بإثارة الفتن ونشوب الحروب وتضييع الحقوق، كما أنه «كان فى سبب اليوم الثانى من أيام الفجار الأول أن شباباً ذوى غرام من قريش وبنى كنانة رأوا امرأة من بنى عامر جميلة وسيمة بسوق عكاظ، وسألوها أن تسفر فأبت، فامتهنها أحدهم، واستهزؤا بها فاستغاثت بقومها فقامت الحرب وسفكت الدماء.» (الاصفهانى، لاتا، ج٢٢: ٦٠)

وقد ذكر المؤرخون والمفسرون أنّ من أسباب الوأد الغيرة على البنات أن يُسبَينَ أو يزوّجنَ بغير أكفاء. (الحوفى، لاتا: ٢٤٩) وفى العصر الجاهلى كان من أسباب دفن البنات عند بعض القبائل أنّهم كانوا يحرصون على العفاف والصيانة حتى أدّى حرصهم على ذلک إلى وأد البنات. وعدّ عبيد الله بن عبد الله بن طاهر وسائل الستر التى يُرجّيها كلّ أبٍ لابنته فى ثلاثة أشياء وفضّل القبر عليها جميعاً:

لكلّ أبٍ بنت يُرجَّى بقاؤُها ثلاثة أصهار إذا ذكر الصهر
فبيتٌ يُغطّيها وبعل يصونُها وقبر يواريها وخيرهم القبر

(الحوفى، لاتا: ٢٩٢)

وفيه قال الشاعر:

سمَّيتها إذا وُلِدت تموت والقبر صهرٌ ضامنٌ زِمّيت

(الطبرسی، لاتا، ج ۱۰: ۲۷۸؛ الزبيدی، ۱۹۹۴م ،ج۳: ۵۲)

ومن الطريف أن نری ثمّة من الشعراء من لم يتخلوا عن انطباعهم لهذه العقلية الجاهلية فی العصور التالية، ممّا أفضی ببعضهم كالمتنبی إلی أن جعل نفسه يواسی بها سيف الدولة المصاب فی رثاء أخته الصغری قائلا بأنّها زفت إلی القبر واتخذت الموت بعلاً لها:

وإذا لم تجد من الناس كفواً ذاتُ خدرٍ أرادت الموت بعلا

(واجدة مجيد،۱۹۸۱م: ۱۵۱)

وقد جعل المتنبّی فی تعزية سيف الدولة عن أخته خولة مدحه لأهم ما توسّمُ به المرأة وهو الستر. فقد كان دونها كل حجاب وكانت رؤيتها عصيّة علی الأعين لا تكاد تدركها فقال:

قد كان كل حجاب دون رؤيتها فما قنعتها يا أرض بالحجب

ولا رأت عيون الإنس تدركها فهل حسدت عليها أعين الشهب

(واجدة مجيد، ۱۹۸۱م:۱۵۰)

ومثله علی هذا الضرب من أسلوب التعزية نجد الشريف الرضی فإنّه رثی بعض أخواته ونعتها أيضاً بما يحسن أن تنعت به المرأة من المجد والعفة والصون فقال من رثاءه فيها:

ودون كل حجاب من العفافة حجب

وقبرک الصون من قبل أن يضمک ترب

(واجدة مجيد، ۱۹۸۱م:۱۵۲)

وهكذا الغيرة قد عملت دورها فی قلّة الرثاء للمرأة حفظاً علی عرضها وصيانتها. كما ذهب إليه بعض الناقدين فی أنّ من أشدّ أنواع الرثاء صعوبة علی الشاعر أن يرثی امرأةً، لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات.

الدلالات اللفظية

أسباب تستر المرأة فی العصر الجاهلی لا تقتصر علی میول فطرية فحسب وإنما تتجلی ملامح تصون المرأة الجاهلية فی مظاهر مختلفة أخری تدل عليها دلالات لفظية كثيرة فی شعر العرب علی احتفاظ المرأة بالحجاب وإن كان نسبياً غير مستوف ما طمح إليه دين الإسلام من التستر الكامل الممنّع من الريب والإثارة. هناک ألفاظ غير قليلة وردت فی شعر العرب الجاهلی فی مجال ستر المرأة ما يدل علی معرفتها وعقيدتها الذاتية بأمر الحجاب كما ويدل علی نوع من الالتزام النسبی بمسألة التستر والحجاب لديهم نحو: النقاب البرقع، الحجاب، الجلباب، الخمار، اللثام، النصيف و.. وبما أن الأشعار المتضمنة لهذه الألفاظ كثيرة نذكر منها نماذج علی سبيل الإشارة العابرة بما فيها من الدلالة المقنعة علی التستر لدی المرأة الجاهلية.

من تلک الأبيات الشعرية التی انطلقت بها ألسنة الشعراء بتستر المرأة الجاهلية وعفافها ما أنشدها السليک بن السُّلَكة فی مدح فُكيهة وهی امرأة جاهلية من بنی قيس بن ثعلبة، كان من وفائها أنّ السليک غزا بكر بن وائل، فبصروا به، فعدا حتی ولج دار فكيهة فاستجار بها، فأدركوه وحاولوا أن ينتزعوه منها، ونزعوا خمارها، فاستغاثت بإخوتها، فجاءوا عشرة، فمنعوهم وأجاروا السليک، وفی ذلک يقول مادحاً لها:

لعمر أبيک والأنباء تنمِی لنعم الجار أخت بنی عُوارا
من الخفرات لم تفضح أباها ولم ترفع لإخوتها شنارا
وما عجزت فكيهة يوم قامت بنصل السيف وانتزعوا الخمارا

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۸: ۱۳۷)

وقال آخر:

تحک قفاها من وراء خمارها إذا فقدت شيئا من البيت جنت

وقولهم فی أمثالهم «إن العوان لا تُعلم الخِمرة» أی لا تحتاج إلی تعليم الاختمار، يضربون ذلک للرجل المجرب[۱]. (العسكری، ۱۹۸۸م :۱۳۹؛ والميدانی، لاتا، ج۱: ۱۷)

۱. العوان: الثيب أو بنت الثلثين.

كما يبدو من الوحی المنزل وما ورد فی التفاسير أن المرأة الجاهلية لم تكن تتقن لبس الخمار ليغطی جميع محاسنها ولم تدرِ ثغور تسترها للرجل الأجنبی وحدود سفورها للأقارب والمحارم. فنزلت من الآيات ما تبيِّن لها وتفرض عليها حجابها وحدود سترها لزينتها. منها ما ورد فی القران الكريم قوله تعالی : ﴿... وَ لْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلى جُيُوبِهِنَّ وَ لا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ...﴾ (النور: ٣١) قال شيخنا أمين الإسلام الطبرسی (قدس سره) فی تفسير مجمع البيان: «والخمر المقانع جمع خمار وهو غطاء رأس المرأة المنسدل على جنبيها، أمرن بالقاء المقانع على صدورهن تغطية لنحورهن فقد قيل إنهن كن يلقين مقانعهن على ظهورهن فتبدو صدورهن، وكنی عن الصدور بالجيوب لأنها ملبوسة عليها. وقيل إنهن أمرن بذلک ليسترن شعرهن وقرطهن وأعناقهن، قال ابن عباس تغطی شعرها وصدرها وترائبها وسوالفها.» (الطبرسی، لاتا، ج٧: ٢١٧)

هناک ألفاظ أخری تدل على عناية الثقافة الجاهلية بالستر والحجاب، منها «النصيف» وهو من أسماء الخمار. قال النابغة: يصف «المتجرِّدة» امرأة النعمان ابن المنذر لمَّا سقط برقعها وهی مارَّة على مجلس الرجال:

سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد[1]

(الجمحی، لاتا، ج١: ٦٨)

ومن ألفاظ الستر ما يسمّی بالنقاب[2] وهو ما تضعُه المرأة على وجهها لستره، ويُسمَّی أيضًا «البُرقُع» أو «النَّصِيف» وقد أتت هند بنت عتبة إلى النبی(ص) وهو بالأبطح متنقبة فبعد أن أعلنت إسلامها وجری حديث بينهما، كشفت عن نقابها، وقالت أنا هند بنت عتبة، فقال الرسول مرحبا بک. (الحلبی، لاتا، ج٣: ٤٧؛ ابن سعد، لاتا، ج٨: ٢٣٦؛ ابن عساكر، لاتا، ج٧٠: ١٧٩)

وتحرض أم عمرو بنت وقدان قومها على الثأر بأنهم إن لم يثأروا فعليهم أن يدعوا السلاح ويتكحلوا ويتنقبوا كالنساء:

١. النصِيف: ثوب تتجلَّل به المرأَة فوق ثيابها كلها، سمی نصيفاً لأَنه نصَفٌ بين الناس وبينها فحَجز أَبصارهم.
٢. النِّقَاب: ما تنتقب به المرأة، يكون على مارِن الأنف. انتقبت المرأةُ وتنَقَبت: غطّت وجهها بالنقاب. (الإفصاح، لاتا، ج١: ٣٧٤)

إن أنتم لم تطلبوا بأخيكم فذروا السلاح و وحِّشوا بالأبرق
وخذوا المكاحل والمجاسد وألبسوا نُقُبَ النساء فبئس رهطُ المرهَق[1]

(الحوفی، لاتا: ۳۷۶)

وأما القناع ففيه يقول النمر بن تولب فی امرأته التی هجرته:

وصدّت كأنّ الشمس تحت قناعها بدا حاجب منها وضنّت بحاجب

(الاصفهانی، لاتا، ج۱۹: ۱۵۹)

ويعجب الشنفری بحبيبته وهی منتقبة لا تكشف وجهها:

فقد أعجبتنی لا سقوطُ قناعها إذا ما مشت ولا بذات تلفّت

(الاصفهانی، لاتا، ج۲۱: ۹۰)

قال النابغة الجعدی فی بحر الطويل:

ملكنا فلم نكشف قناعا[2] لحرة ولم نستلب إلاّ الحديد المسمّرا

(السيد الأمين، لاتا، ج۶: ۲۶۱)

وذكر عروة بن الورد:

فراشی فراش الضيف والبيت بيته ولم يلهنی عنه غزال مقنّع

(الموصلی، ۱۹۹۵م، ج۱: ۳۶۱)

والبرقع كذلک من تلک الألفاظ التی تستر به المرأة وجهه وذلک كما مرّ فی «أسباب سفور المرأة» قول توبة بن الحمير:

وكنت إذا ما جئت ليلی تبرقعت فقد رابنی منها الغداة سفورها

هذا وقد وردت لفظة الجلباب[3] مرة فی الشعر العربی. قالت جنوب أخت عمرو ذی الكلب ترثيه:

---

۱. وحّشوا بالأبرق: كونوا مع الوحوش بالأرض الرملية الحجرية. المرهق: الذليل المضيق عليه.
۲ . القناع ما تتقنّع به المرأة من ثوب تغطّی رأسها ومحاسنها. ونحوه المقنّعة وهی ما تقنع به المرأة رأسها.
۳. والجلباب: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطی به المرأة رأسها وصدرها. ... قال ابن السكيت، قالت العامرية: الجلباب الخمار، وقيل: جلباب المرأة ملاءتها التی تشتمل بها، واحدها جلباب، والجماعة جلابيب. وفی التنزيل العزيز : ﴿... يُدْنينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلاَبِيبِهِن ...﴾ (ابن منظور، لاتا، ج۱: ۲۷۲ـ ۲۷۳)

تمشی النسور إليه وهی لاهية مشی العذاری، عليهن الجلابيب

(ابن منظور، لاتا، ج۱: ۲۷۲ـ۲۷۳)

وقال تميم بن أبی:

لبِسَت جلابيبَ الحريرِ وخدّرت بالرّيط فوق نواعج وجِمال

وحار قيس بن الخطيم فی نوع الرائحة التی تضوع من جلبابها فقال:

كأن القرنفل والزنجبيل وذاكی العبير بجلبابها

(شبلی، لاتا: ۶۴)

النتيجة

بناءاً علی الفطرة النبيلة البشرية كان لسترالمرأة وعفافها عناية خاصة يوليها العرب الجاهلی فی ذات نفسه.

كان لسفور المرأة الجاهلية عدة أسباب أهمّها فيما يلی:

الحزن والمصيبة: حيث إنها تفقد صبرها وصوابها عند المصائب المفجعة، فتخرج عن خباءها وتشق جيبها أو تمزق خمارها وتلطم علی وجهها حاسرة الرأس والذراع جزعاً منها علی فقيدها.

إبداء الحسن والزينة: إن المرأة الجاهلية قد كانت تتخلی عن التزامها بالستر والحجاب لما كان لها من الحرية فی إبداء الزينة فی ظروف خاصة كأيام الحج أو غير الحج فی الرحلات.

الفقروالجوع: من دواعی السفور لدی المرأة الجاهلية معاناتها من الجوع والفقر حيث كانت أحياناً تؤدی بها إلی تركها التعزل والخفر وعدم احتجابها وحضورها محضر السوء سداً للجوع وكسباً للرزق.

الخوف من السبی: كانت المرأة العربية الجاهلية تسفر فی الحروب إذا أيقنت هزيمة قومها وخشيت السبی فتتشبه بالأمة حتی يُزهَد فيها وتتأهب للفرار سافرة.

إبراز المحبة: من أسباب سفورها شق الرداء والبرقع لدوام المحبة. زعموا أن المرأة

إذا أحبت رجلا أو أحبها ولم تشق علیه رداءه ویشق علیها برقعها فسد حبهما.

هناک دلالات ذاتیة منبعثة عن الفطرة توحی بأن العرب الجاهلی ولو أنه کان فاسقاً مستهتراً لأعراض الناس لکنه فی داخل نفسه یستحمد تصون المرأة وعفافها، فیصف امرأته المطلوبة بأنها عفیفة، طیبة السمعة لم تتناولها الألسن، ویشبهها بالدرة المکنونة أو بیضة الخدر لما یجد فیها من الصفاء والحصانة المیزة.

هناک ألفاظ غیر قلیلة وردت فی شعر العرب الجاهلی فی مجال ستر المرأة ما یدل علی معرفتها وعقیدتها الذاتیة بأمر الحجاب کما یدل علی نوع من الالتزام النسبی بمسألة التستر والحجاب لدیهم نحو: النقاب البرقع، الحجاب، الجلباب، الخمار، اللثام، النصیف و... .

المصادر والمراجع

آلوسی، أبوالفضل محمود. لاتا. *روح المعانی فی تفسیر القرآن العظیم والسبع المثانی*. ۳۰ج. بیروت: دار إحیاء التراث العربی.

البستانی، فؤاد أفرام. لاتا. *المجانی الحدیثة: عن مجانی الأب شیخو*. اختیار ودرس وشرح وتبویب لجنة من الأساتذة. الطبعة الثالثة. ۵ج. بیروت: دارالمشرق.

الأبشیهی، شهاب الدین محمد بن أحمد أبی الفتح. ۱۹۸۶م. *المستطرف فی کل فن مستظرف*. تحقیق مفید محمد قمیحة. الطبعةالثانیة. ۲ج. بیروت: دارالکتب العلمیة.

ابن الأثیر. ۱۹۶۶م. *الکامل فی التاریخ*. ۱۲ج. بیروت: دار صادر للطباعة والنشر.

ابن سعد، محمد. لاتا. *الطبقات الکبری*. ۸ج. بیروت: دارصادر.

ابن عساکر. ۱۴۱۵ق. *تاریخ مدینة دمشق*. تحقیق علی شیری. ۷۰ج. مطبعة دارالفکر.

ابن قیس، محمد بن عبید بن سفیان. ۱۹۹۷م. *قری الضیف*. تحقیق عبدالله بن أحمد المنصور. الطبعة الأولی. الریاض: أضواء السلف.

ابن منظور، محمد بن مکرم بن منظور الافریقی المصری. لاتا. *لسان العرب*. الطبعة الأولی. ۱۵ج. بیروت: دار صادر.

أبو رحاب، حسان. ۱۹۴۷م. *الغزل عند العرب*. الطبعة الأولی. القاهرة: مطبعة مصر.

الأصفهانی، أبوالفرج. لاتا. *الأغانی*. تحقیق سمیر جابر. الطبعة الثانیة. ۲۴ج. بیروت: دار الفکر.

الأعشی. ۱۹۹۴م. *دیوان الأعشی الکبیر میمون بن قیس*. شرح وقدم له ووضع هوامشه وفهارسه حنا نصر الحتی. الطبعة الثانیة. بیروت: دارالکتاب العربی.

الأمین، السید محسن. لاتا. *أعیان الشیعة*. تحقیق وتخریج حسن الأمین. ۱۰ج. بیروت: دارالتعارف للمطبوعات.

البستانی، فؤاد أفرام. لاتا. *المجانی الحدیثة عن مجانی الأب شیخو*. الطبعة الثانیة. بیروت: المطبعة الکاثولیکیة.

البغدادی، أحمد بن علی أبوبکر. لاتا. *تاریخ بغداد*. ۱۴ج. بیروت: دار الکتب العلمیة.

الجمحی، محمد بن سلام. لاتا. *طبقات فحول الشعراء*. تحقیق محمود محمد شاکر. جدة: دار المدنی.

الحسینی الکاشانی، السید عباس. ۱۴۰۰ق. *حدائق الأنس فی نوادر العرب والفرس*. الطبعة الأولی. قم: مطبعة الخیام.

الحوفی، أحمد محمد. لاتا. *الغزل فی العصر الجاهلی*. بیروت: دارالقلم.

ـــــــــــــ . ۱۹۸۰م. *المرأة فی الشعر الجاهلی*. الطبعة الثالثة. القاهرة: دار النهضة للطبع والنشر.

الحلبی. ۱۴۰۰ق. *السیرة الحلبیة*. ۳ج. بیروت: دارالمعرفة.

الزبیدی. ۱۹۹۴م. *تاج العروس*. ۲۰ج. بیروت: دارالفکر.

زکی صفوت، أحمد. لاتا. *جمهرة خطب العرب*. ۳ج. بیروت: المکتبة العلمیة.

السجستانی، ابن الأشعث. ۱۹۹۰م. *سنن أبی داوود*. الطبعة الأولی. أخرج وراجع ووضع فهارسه مکتب الدراسات والبحوث فی دار الفکر.

السید المرتضی. ۱۹۰۷ م. *الأمالی*. تصحیح وتعلیق الشیخ أحمد بن الأمین الشنقیطی. الطبعةالأولی. منشورات مکتبة آیة الله العظمی المرعشی النجفی.

شلبی، عبد المنعم عبد الرؤف. لاتا. *دیوان عنترة بن شداد*. مصر: مطبعة شركة فن الطباعة.
الشوری، مصطفی عبدالشافی. ۱۹۸۳م. *شعر الرثاء فی العصرالجاهلی*. بیروت: الدار الجامعیة للطباعة والنشر.
الضبی. لاتا. *المفضلیات*. شرح الأستاذین شاکر وهارون. مصر: مطبعة المعارف.
الطائی. لاتا. *دیوان الحاتم الطائی*. شرحه وضبط نصوصه وقدم له عمر فاروق الطباع. بیروت: شركة دار الأرقم بن أبی الأرقم.
الطبرسی، الفضل بن الحسن. ۱۳۷۹ق. *مجمع البیان فی تفسیر القرآن*. ۱۰ج. بیروت: دار الإحیاء للتراث العربی.
الطوسی، أبو جعفر محمد بن الحسن بن علی. ۱۴۰۹ق. *التبیان فی تفسیر القرآن (تفسیر التبیان)*. تحقیق محمد حبیب قصیر العاملی. الطبعة الأولی. ۱۰ج. قم: مكتب الاعلام الإسلامی (الأفست من الطبعة البیروتیة).
العسكری، أبوهلال. ۱۹۸۸م. *جمهرة الأمثال*. تحقیق محمد أبو الفضل إبراهیم وعبد المجید قطامش. الطبعة الثانیة. بیروت: دارالفكر.
الفراهیدی، خلیل بن أحمد. ۱۴۱۴ق. *كتاب العین*. الطبعة الأولی. ۸ج. مؤسسة النشر الإسلامی.
القرشی، أبو زید محمد بن أبی طالب. ۱۹۲۶م. *جمهرة أشعار العرب*. مصر: المطبعة الرحمانیة.
القلقشندی، أحمد بن علی. ۱۹۸۷م. *صبح الأعشی فی صناعة الإنشاء*. تحقیق یوسف علی طویل. الطبعة الأولی. ۸ج. دمشق: دارالفكر.
نجیب عطوی، علی. ۱۹۹۳م. *الخنساء بنت عمرو شاعرة الرثاء فی العصر الجاهلی*. الطبعة الأولی. بیروت: دار الكتب العلمیة.
المتقی الهندی. لاتا. *كنز العمال*. تحقیق الشیخ بكری حیانی والشیخ صفوة السقا. ۱۶ج. بیروت: مؤسسة الرسالة.
المقرم، عبدالرزاق الموسوی. ۱۳۷۲ش. *مقتل الحسین(ع) أو حدیث كربلاء*. إیران: انتشارات

شریف الرضی.

الموصلی، أبوالفتح ضیاء الدین. ۱۹۹۵م. *المثل السائر*. تحقِیق محمد محیی الدین عبد الحمید. ۲ج. بیروت: المکتبة العصریة.

المیدانی النیسابوری، أبوالفضل أحمد بن محمد. لاتا. *مجمع الأمثال*. تحقیق محمد محیی الدین عبد الحمید. ۲ج. بیروت: دارالمعرفة.

نوری، میرزا حسین. لاتا. *مستدرک الوسائل*. الطبعة الأولی. ۱۸ج. قم: مؤسسة آل البیت لإحیاء التراث.

واجدة مجید، عبدالله الأطرقجی. ۱۹۸۱م. *المرأة فی أدب العصر العباسی*. الجمهوریة العراقیة: منشورات وزارة الثقافة والإعلام.

یوسف موسی، حسین والصعیدی، عبدالفتاح. ۱۴۱۰ق. *الإفصاح فی فقه اللّغة*. الطبعة الرابعة. ۲ج. مکتب الإعلام الإسلامی.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی